الإسلام دين الكمال

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أخي القاري الكريم ـ وفقك الله ـ اعلم أن الإسلام دين كامل ومنهج شامل للحياة كلها، وشريعة جامعة واضحة بيّنة عادلة صالحة لقيادة الإنسان في كل جانب من جوانب الحياة في كل زمان ومكان، تضع لها المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان، وتضع لها الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحور بتغير الزمان والمكان، وهي بمبادئها الكلية وبأحكامها التفصيلية محتوية كل ما تحتاج إليه حياة الإنسان من ضوابط وتوجيهات وتشريعات وتنظيمات لكي تستمر، وتنمو، وتتطور، وتتجدد.

إن الدين النبوي والشرع المحمدي منذ يوم ظهوره في الأرض مازال ولا يزال يهدي الإنسان في جميع جوانب الحياة العقائدية والسلوكية والسياسية والمعاشية والأخلاقية والقضائية والجنائية والعسكرية والدبلوماسية والتنظيمية والإدارية إلخ، خير هداية. ويقود البشرية التاعسة في جميع مجالات الحياة قيادة حكيمة راشدة.

ولا ينبغي لأحد أن يظن بأن في هذا الدين نقصاً يستدعي الإكمال، ولا قصوراً يستدعي الإضافة، ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير، بل عليه أن يؤمن ويعتقد اعتقادا جازما بأن تشريعات هذا الدين، وقوانينه وتعليماته جامعة شاملة كاملة بيّنة، لا تتغير ولا تتبدل، ولا تتحور ولا تتطور بتغير الزمان والمكان، غير قابلة للزيادة والنقصان، لا ينالها التحريف والتصحيف والتلبيس والباطل. وهي لا تزال كاملة شاملة صالحة لقيادة البشرية الحائرة، باقية كما كانت إلى يوم الساعة. ولا يتغير شيء من قوانينه، ولا يتبدل شيء من مناهجه وتشريعاته حتى تقوم الساعة.

ولذلك تجد أنه ما ترك جانبا من جوانب الحياة، ولا ناحية من نواحيها إلا أرشد إليها خير الإرشاد، ووضع له قانونا واضحا جامعا كاملا، ومنهاجا بيناً شاملا يسترشد به الإنسان، ويستلهم منه في حياته مادامت السموات والأرض.

فعلى سبيل المثال لا الحصر ترى أنه وضع بين يدي الإنسان آدابا وسننا شاملة متكاملة واضحة في مجال الخلاء، والطهارة والنظافة، فما يحتاج إليه الإنسان من التوجيهات والهدايات في باب النظافة والطهارة بيّنها أحسن بيان، وكذلك ما يحتاج إليه من الهدايات والآداب والسنن في باب المطاعم والمشارب بينها وفصلها تفصيلا، وما يحتاج إليه من التوجيهات في مجال المناكح والولائم والأعياد والملابس والبيوع والعقود والعهود بينها وفصلها تفصيلا، وكذلك ما يحتاج إليه من الضوابط والأصول في باب العبادات بينها وفصلها تفصيلا، وما يحتاج إليه من الهدايات والتعليمات في مجال المعاشرة والمعاملة بينها، وكذلك ما يحتاج إليه من القوانين والدساتير في مجال السياسة والمعاش، والدولة والسلطة والحكم والإمارة والسيادة والقيادة والقضاء بينها، وكذلك ما يحتاج إليه من التوجيهات في الحياة الفردية والاجتماعية والمدنية والملية والعائلية بينها، وكذلك ما يحتاج إليه من الآداب والسنن والهدايات في مجال الوصية والهبة والميراث، والإنفاق على الأقربين واليتامى والمماليك والمساكين والفقراء والبؤساء والأرامل بينها وفصلها تفصيلا، وما يحتاج إليه من الإرشادات في المجال التعليمي والإصلاحي بينها أحسن بيان.

فما من خير إلا دعا إليه الإسلام، ودل عليه، وما من شر إلا حذر منه أشد تحذير، ونبه عليه.

ويرى الناظر في القرآن أنه شهد بإعلان إكمال الدين الإسلامي الحنيف، وإتمام النعمة قائلا:{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا}

كملت تشريعات الدين الإسلامي وتقنيناته وتنظيماته كمالاً، فلا يحتاج إلى شيء من الحذف والإضافة، والتعديل والتنقيح، والتحرير والتهذيب فيه، وليس الإسلام كديانات ونحل أخرى ترى في قوانينها ومناهجها ونظمها نقصاً وقصوراً وفساداً وخللاً، لا تجدها صالحة لقيادة الإنسان المعاصر، تختلق القوانين صباحاً وتتغير مساءً، وتوضع نهاراً وتتبدل ليلاً، فلا استمرار لها ولا دوام، ولا ثبات ولا قرار، ولا خلود لها ولا بقاء.

من ادعى أن في هذا الدين نقصاً يستدعي الإكمال، وقصورا يستدعي الإضافة، وزيادة يستدعي التعديل والتحرير والحذف فقد ضل ضلالاً بعيداً.

وإني أرى بعض إخواني المسلمين الذين يحدثون في الدين ما لم يشرعه الله ولا رسوله ظانين أنه من الدين، ويبتدعون فيه ما ليس من الدين كأمثال الاحتفال بالمولد النبوي ونحو ذلك من الأمور البدعية الكثيرة السائدة في المجتمع الإسلامي.

إني أعجب كثيراً ممن يحدث في الدين ما ليس منه، ويبتدع فيه ما لم يأذن به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وهو يزعم أنه مسلم، كيف يفعل ذلك، ويبتدع في الدين وإنه يقرأ كتاب الله ويقرأ: {اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً} مرات وكرات، ويعرف جيداً أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما ترك شيئاً يحتاج إليه الإنسان في حياته إلا بينه أكمل بيان، وأرشد إليه، ودل عليه.

فمن أحدث في الدين الإسلامي ما لم يشرعه الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وابتدع فيه ما لم يأذن به الله ورسوله فقد افترى على الله ورسوله كذباً، ومن افترى على الله كذباً فقد ضل ضلالاً بعيداً.

❖❖❖